العدد 9 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية نيسان 2025
No. 9 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences April 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

الخصائص الرومانسية في شعر خليل مطران

م .م ميسون جياد عبد الحسناوي
وزارة التربية: مديرية العامة للتربية في محافظة النجف الاشرف
Mail: meysuna3@gmail.com

المستخلص

يتناول هذا البحث دراسة الخصائص الرومانسية في شعر الشاعر اللبناني المصري خليل مطران أحد ابرز رواد المدرسة الرومانسية في الادب العربي الحديث الذي شكل جسراً بين التقليد الكلاسيكي وبواكير التجديد الشعري في العالم العربي وقد جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على العناصر الرومانسية التي تسربت الى شعره متأثرة بالثقافة الغربية التي انفتح عليها مطران من خلال ترجماتة واطلاعه الواسع فضلاً عن تجربته الذاتية .اعتمد البحث المنهج التحليلي الادبي من خلال قراءة مجموعة مختاره من قصائد مطران وتحليلها للكشف عن ابرز السمات الرومانسية فيها مثل التجربة الذاتية، والوجدانية، التأمل في الطبيعة، الحزن والاغتراب ، التمرد على قيود الكلاسيكية والعناية بالخيال، والصور الشعرية وقد بين البحث ان مطران استطاع ان يدمج بين حرارة العاطفه وصدق التجربة وبين التماسك الفني والوعي الشعري فكان صوتاً مميزاً وممهداً لظهور جماعة الديوان ومن جاء بعدها من شعراء الرومانسية العرب كذلك اوضح البحث كيف عبر مطران عن الذات الانسانية في صراعها مع الحياة والمصير وكيف رسم صور شعرية زاخرة بالمشاعر والرموز موظفاً الطبيعة كمرأة لعوالمة النفسية كما ناقش البحث اثر النزعة الرومانسية الغربية في تشكيل رؤية الشعرية دون ان يفقد ارتباطه بالتراث العربي وروحه القومية وخلصت الدراسة الى ان مطران خليل مطران يعد حجر الاساس في تطور الشعر الرومانسي العربي وان تجربة تمثل مرحلة انتقالية مهمه نحو الحداثة الشعرية وقد اوصى البحث بمزيد وفي الدراسات المقارنة التي تربط شعر مطران بالتيارات الادبية الغربية وتبرز موقعه في تطور الحساسية الشعرية العربية المعاصرة .

الكلمات المفتاحية : مطران خليل مطران ، الشعر الرومانسي ، الادب العربي الحديث ، الطبيعة ، الوجدان ، التجديد .

Romantic Characteristics in Khalil Mutran's Poetry

Ministry of Education: General Directorate of Education in Najaf Governorate
A. L. Maysoun Jiyad Abdul Hasnawi
Mail: meysuna3@gmail.com

Abstract

This research examines the romantic characteristics in the poetry of the Lebanese-Egyptian poet Khalil Mutran, one of the most prominent pioneers of the Romantic school in modern Arabic literature. Mutran formed a bridge between the classical tradition and the early days of poetic renewal in the Arab world. This study aims to shed light on the romantic elements that seeped into his poetry, influenced by Western culture, to which Mutran was exposed through his translations, his extensive knowledge, and his own personal experience. The research adopted the literary analytical approach by reading a selected group of Mutran's poems and analyzing them to reveal the most prominent romantic features in them, such as personal experience, sentimentality, contemplation of nature, sadness and alienation, rebellion against the restrictions of classicism, and attention to imagination and poetic imagery. The research showed that Mutran was able to combine the warmth of emotion and the sincerity of experience with artistic coherence and poetic awareness, thus being a distinctive voice that paved the way for the emergence of the Diwan group and the Arab Romantic poets who came after it. The research also clarified how Mutran

expressed the human self in its struggle with life and destiny, and how he painted poetic images rich with feelings and symbols, employing nature as a mirror for his psychological worlds. The research also discussed the impact of Western romanticism in shaping the vision of poetry without losing its connection to Arab heritage and its national spirit. The study concluded that Mutran Khalil Mutran is the cornerstone in the development of Arab Romantic poetry, and that his experience represents an important transitional stage towards poetic modernity. The research recommended more comparative studies that link Mutran's poetry to Western literary trends and highlight his position in the development of sensitivity. Contemporary Arabic Poetry.

Keywords: Mutran Khalil Mutran, Romantic Poetry, Modern Arabic Literature, Nature, Conscience, Innovation

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على سيدنا محمد افصح من نطق بالضاد وعلى اله وصحبه ومن سار على دربه الى يوم الدين . اما بعد فأن الادب العربي كان وما يزال وعاء للثقافة حيث شهد الادب العربي في اواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حركه تحديد واسعه جاءت نتيجة لتفاعلات داخلية وخارجية اثرت في البيئة الفكرية والثقافية للمجتمع العربي وقد كان الشعر احد ابرز ميادين هذا التحول حيث بدأت تظهر ملامح جديده تعبر عن الذات والوجدان وتتمرد على القلوب التقليدية وفي طليعة هذا التحول برز اسم مطران خليل مطران الذي يعد من الرواد الاوائل الذين حملوا راية التجديد وعبروا عن نزعه رومانسية واضحة في شعرهم . لقد جمع مطران بين ثقافة عربية اصلية وغربية حديثة مكنته من ان يطور لغة الشعر ومعانيه متأثره بالتيارات الرومانسية في شعر مطران من خلال تحليل عدد من قصائده وتحديد السمات الفنية والفكرية التي ميزته عن معاصريه ومهدت الطريق لظهور التيارات الشعرية الرومانسية لاحقاً مثل جماعة الديوان وابولو.

ويعتمد البحث في منهجه على التحليل الادبي والنقد للنصوص الشعرية مدعوماً باطار نظري يوضح مفهوم الرومانسية واهم ملامحها في محاولة للاجابة عن السؤال المركزي ما مظاهر الرومانسية في شعر مطران ؟ وكيف ساهمت تجربته في ارساء دعائم الشعر الرومانسي .

المبحث الاول

الخلفية الفكرية والبيئة لشعر خليل مطران

نشأة خليل مطران وظروفه الثقافية والاجتماعية

ولد الشاعر خليل مطران في بعلبك وتلقى مبادئ الكتابة واصول الحساب هي مدرسة الابتدائية بترحلة ثم ارسله والده الى بيروت وألحقه بالقسم الداخلي من المدرسة البطريركية متخرج فيها على يد الشيخ خليل اليازجي وأخيه الشيخ ابراهيم [1]

قال السيد احمد الهاشمي ((خليل مطران هو شاعر الشعور والخيال و شاعر بعليك والاهرام ولد سنه ١٨٧١م بعلبك وتعلم بها ، قدم مصر سنه ١٨٩٣م واستقل بمكاتبة الصحف وانشأ باسمه (المجلة المصرية) سنه ١٨٩٩م وانشأ ايضاً (جريدة الجوانب المصرية) وله ديوان المسمى (ديوان الخليل) [2]

---

[1] محمد مؤمن صادق ، الصورة البنائية في شعر خليل مطران، ص ٩ .
[2] احمد الهاشي، جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب، ج6، ص٣٥٦.

ويعد الشاعر خليل مطران فن ابرز رواد حركة التجديد في الشكر العربي الحديث فقد مضى به شوطاً طويلاً نحو الانعتاق من بعض المفاهيم التي سيطرت على الشعر في إبان حركة الاحياء. واذا كانت حركه التجديد والتطور لا تنبت في فراغ ، فأن بذور هذه الحركة قد ظهرت في شعر الإحيائيين في امثال البارودي واسماعيل صبري ، وشوقي، وحافظ وولي الدين يكن، وغيرهم مثلما ظل مطران يخضع في شعره لكثير من مقايس الإحيائيين الإبداعية ومفاهيمهم [1]

ومرجع التجديد عند خليل مطران يعود الى انه شاعر الثقافة، شاعر العقل والشعور جميعاً فهو يأتيك بالافكار والخواطر متسلسله مطردة والخيال مستقاً وهو يدخل في الادب العربي الشعر القصصي في مجال واسع .

وكان نموذجاً في خلقة وفي حياتة وفي ادبه كان حباً للجميع يرى العالم كله وطنا واهلاً لا يحقد ولا يحد ولا يضمر سوءاً ولا يسعى لمنفعة ذاتية ولا يحب الختل ولا يعيش الا حياة الصدق والإباء والشرف .

المذهب الشعري عند مطران

الشاعر مطران كما واضح صاحب مذهب التجديد للشعر العربي في المضمون والشكل ممهد لمدرسه الديوان التي اتت بعد وتأثر بمذهبه وطرقه خلف شكري والمازن والعقاد .

لقد حدد مطران وحدة القصيدة في مضمونها وفي اسلوبها ودعا الى تحرير الشعر من أسر الارتباط بذوي السلطان والمنتقدين ومن شعر المناسبات ودعا الى الولوج في عالم الذات وتبع حركتها ومحاسيتها والابداع ن خلالها .

وشعره كما قال : تعاطي به منذ طفولته وكتابته له عن وعي ونضج فكر وعقلي وكان لكتابة عده محاور ابرزها[2]

اولاً : الشعر الذاتي الذي يرضي نفسه ووجدانه ويعد خوالج نفسه وحرمه وما تعانيه في شتى الشؤون النفسية.

ثانياً : الشعر التربوي القومي: اي الشعر الوطني الراكن الى عزة القوم ومصلحة الجماعة في الحوادث الجلية الخطرة .

ثالثاً : انه يتبع شعر الجاهلية : في رؤيتهم للتعرف من حيث الحرية في اختيار المعاني والموضوعات التي تلائم الطبع والوجدان والمشاعر.

رابعاً : مجاراة الواقع الى البناء والتجديد في استعمالات اللغة من حيث الالفاظ والتراكيب والاساليب البلاغية دون ان يكون ذلك على حساب اللغه ذاتها في صرفها ونحوها

خامساً : التحرير من قيود الوزن والقافية والنظرة الى القصيدة في وحدتها القصيدة ودور البيت في ابراز جمال القصيدة انطلاقاً من جمال البيت نفسه لان ذلك سيستهم في تركيب القصيدة وتريتها وتوافقها .

سادساً : كان يحرص على اعداد مذهبه في الجديد ويتفاءل بأن طريقه شعره هي التي ستسود وهي التي ستخلص الشعر العربي من بعض قيوده فشعره شعر المستقبل .

مطران بين التقليد والتجديد

خليل مطران هو احد الممهدين للتجديد ليس في ذلك من شك هذا كلام لا يكاد يدل على شيء لأنه كلام شامل عام ونحن نريد ان نرى اين هو التجديد الذي جاء به مطران وما قيمته واين التقليد الذي سار عليه متأثر حظى الأقدمين ولنبدأ سؤال هام :

---

[1] مصطفى اليوسفي ، تاريخ الادب العربي الحديث، ص ٤٩ .
[2] د. سالم المعوش ، في الادب الحديث ، ص 503.

هل شعر مطران جديد كله؟ ام ان التجديد محصور في مواضيع خاصه له ألا يتعداها ؟

ومن الانصاف في الاجابة على هذا السؤال، ان تقول : ان مطران جدد في بعض نواحي الشعر ولم يجدد في الشعر تجديداً جذرياً كاملاً .

لكن مطران الذي سافر الى فرنسا ودرس أدبها كان يجب ان يجدد تجديداً جذرياً فيبتعد عن شعر المناسبات الذي أفسد شعره وهبط به عن المرتبة التي كان يجب ان يتبوأها [1]

ومما يراه طه حسين [2] ((ان مطران تأثر على الشعر القديم ناهض مع المجددين وهو قد سلك طريق القدماء فلم تعجبه فأعرض عن الشعر ثم اضطر فعاد اليه وحاول ان يعود اليه مجدداً لا مقلداً وهو ينبئك بانه يعرض عليك في ديوانه شيئاً من شعر القديم تثبت به مقدار ما وصل اليه من التجديد وهو متواضع لا يزعم انه بلغ من التجديد ما يريد وانما يترك ذلك للذين سيأتون من بعده وهو شجاع لا يعتذر ولا يتلطف وانما يعلن ثورته على القديم ارتباطه بالعصر الذي يعيش فيه وحرص على ان يلائم بين شعره وبين هذا العصر وهو معتدل فهو لا يرفض القديم كله وانما يحتفظ باصول اللغة وأساليبها كما يتأثر القدماء في اطلاق فطرتهم على سجيتها وهو فتى له في مجال على كل حال مذهب قيم لانه يمثل شيئا من المثل الاعلى الفني في هذا العصر فهو يكره هذا الشعر الذي تتنقل فيه الابيات وتتنافر وتتدابر ويريد ان تكون القصيده وحدة ملتئمة الاجزاء وخلاصة القول ان شعر مطر ان ممتاز من ناحية الشاعرية والصناعة وليس له مثيل بين شعراء عصره او الذين تقدموه فهو نموذج عال النمط جديد في الشعر العربي وقد ترك هذا الشاعر من الاثر الكبير في اتجاه الشعر العربي الحديث ما لم يتركه شاعر اخر لأى شاعر عربي .

تأثيره في المدارس الغربية (المدرسة الرومانسية الفرنسية)

اطلع مطران على الادب الفرنسي والانجليزي ابان دراسة في باريس حيث يشرب افكار الفلاسفة والادباء الفرنسيين مثل فكتور هوغو الفرنسي.

دولا مرتين والفرو دي موسيه وقد ساهمت هذه القراءة الواسعة في تكوين شخصية الشعرية وتأثر بالمدرسة الرومانسية التي تركز على

* الذاتية وصدق التغير عن المشاعر

* التأمل في الطبيعة والوجود والموت

* الهروب من الواقع الى عوالم خيالية او طبيعة

* الاهمام بالحزن والمعاناة كجزء من التجربة الانسانية

حيث تأثر مطران بالمدارس الغربية وخاصة الرومانسية الفرنسية في شعره وكتابته حيث بين افكاره جديد في بناء القصيدة وموضوعاتها ادخل مطران مفهوم الوحدة العصرية في القصيدة حيث اعتبرها وحده مجموعه من الابيات كما اهتم بالتغير عن المشاعر والاحاسيس الذاتية واستخدام الخيال في التصوير الشعر

يقول الدكتور لويس عوض (لقد كان مطران اول شاعر عربي يكلم عصرية متأثره باللغة الفرنسية لغة الانفعال لا الزخرف) [3]

حيث مرج بين ثقافة العربية العميقة وتأثر بالاداب العربية ولاسما الفرنسية فقد تتلمذ مطران ادبياً على اعمال فكتور هوغو ولامارتين ودي موسيه فظهر في شعره بوضوح اثر المدرسة الرومانسية الفرنسية والتي تمثلت

[1] د. مثال جحا ، خليل مطران ، باركوة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 92 .
[2] طه حسين - رشاد مطران ، مجلة العصبة مجلد 10 (1949) (161)
[3] لويس عوض ، مقدمه ديوان مطران ، ص5

في نزعة التأمل والبكاء على الذات والميل الى الطبيعة والنزعة الفلسفية نحو الموت والوجود وتهدف وذكر شيخو((ان مطران كان من اكثر شعراء العرب تأثر بالرومانسي الفرنسية حتى نعت بفكتور هوغو العرب)) [1]

ويرى الدكتور شوقي ضيف (ان مطران نقل الرومانسية عن الغربين الى الشعر العربي بلغة عربية جزله متقنة) [2]

كما ذكر انور المعداوي ((مطران كان اكثر الشعراء العرب احتضاناً للفردية والتأمل كما فصل هوغو ولامارتين)) [3]

هكذا اثر الادب الفرنسي الرومانسي بشكل ، عميق في خليل مطران فجاء شعره متحرراً من التقليد مؤمناً بذاتية العشور متأملاً في الصيغة والوجود وهو ما جعله مجرد ناقل للرومانسية بل مبدعاً اعادة انتاجها بروح عربية اصلية وهذه الابيات توحي من قصيدة تبرز تأثيره بالمدرسة الرومانسية العربية

والقصيدة تعكس الحزن ، والتأمل - الذاتية - العاطفة وهي من ديوانه قصيدة غريب . [4]

غريب أفي الدنيا انيس يؤانس؟ ام الدهر فيا ينا يتحسس

امر بربع من حبيب تركته كان فؤادي في حطامه بحبس

ايا من رأى القلب المفجع وحده يسائل اشباح القلب المفجع ويعس

احن اليه وهو ينس مودني وينكر حبي وهو بالحب يوسس

غريب كأني في الوجود مكبل بلا يوكل او حدى يتنفس

انتقال خليل مطران من الكلاسيكية الى الرومانسية

شكل خيل مطران(1872 -1949) حلقه انتقالية بارزه في الشعر العربي الحديث حيث انتقل بشعره من سمات المدرسة الكلاسيكية القائمة على التقاليد البانية والموضوعات الموروثة الى افاق المدرسة الرومانسية التي تعبير عن الذات الفردية والوجدان والطبيعة والخيال لم يكن انتقاله مجدد تقليد للشعر العربي بل كان تطورا فنياً تابعاً من تجربه داخلية واعيه بالتجديد والانفتاح التقافي.

لقد مثلت اقامة في فرنسا نقطة تحول كبيرة في مسيرته هناك تعرف على رواد المدرسة الرومانسية الفرنسية مثل فيكتور هيجو ولا مارتين واطلع على ادبهم العاطفي العميق فبدأ يتبنى مفاهيم جديده مثل الذاتية الحزن النبيل ، التأمل في الطبيعة ، الصراع الداخلي ، والتصوير الفني ويقول مطران عن نفسه ((انا شاعر وجداني اقول ما اشعر واصور ما احسس))

بداء التحول الحقيقي في شعر مطران بعد اطلاعه على اعمال الشعراء الفرنسي وخصوصاً في مرحله اقامته بفرنسا ولبنان لقد ادرك ان الشعر يجب ان يكون مرآة للوجدان لا اداة للمريح او الخطابة

---

[1] شيخو ، شعراء الرائية ، ص ٢٢٠
[2] شوقي ضيف- تاريخ الادب العربي الحديث، ص ٢٢٥
[3] انور المعداوي، قضايا الشعر الحديث، ص71
[4] ديوان خليل ، ج2 - ص 176

يقول الدكتور احسان عباس ((كان مطران اول من عبر عن ذاتية بصدق وجعل الشعر وسيله للبوح الداخلي وليس للتقليد اساليب القدماء)) [1]

وفي قصيدة (المرض) والتي كتبها اثناء مرضه في الاسكندرية نجد تخلى العاطفة والذاتية بوضوح

نظرت نفسي في المرآء فارتجفت عني وقلت : أأهذي ؟ هذه صورتي؟[2]

وكتب كمال ابو اديب ((مطران ليس ثائر بل مجدداً لقد انزل الرومانسية في قلب البيئة التقليدية فكان انتقاله انتقالا ناعماً لكنه عميق الأثر)) [3]

ان انتقال خليل مطران من الكلاسيكية الى الرومانسية لم يكن قفزة مفاجأة بل تحول تدريجيي نضج بفعل التجربة الذاتية والانفتاح الثقافي وتمثل في تجاوز الشكل التقليدي ويبنى المضمون الوجدان العميق مما جعل منه رائد الرومانسية في الادب العربي [4]

المبحث الثاني

الملامح الرومانسية في الموضوع الشعري عند مطران

ان خليل مطران يمتاز بشعره الرومانسي وقلنا ان رومانسية مطران تعود إلى تأثيره بالثقافة الغربية وإلى شدة حساسيته وتأثره بمجالي الطبيعة واحوال الناس وكانت جميع هذه المشاهد والمرئيات تمزج في دخيله نفسه بلونها الخيال وتراقبها المعاودة.

ويذكر مندور [5] ان الآراء تشعبت في البحث عن مقومات شعر الخليل فسماه البعض شاعراً ابداعياً أي رومانتيكياً وسماه آخرون شاعر العصر وذلك فضلاً عن القاب الاخرى التي تقيد تخصيصاً لمذهب او ايضاحاً لمنهج مثل شاعر القطرين وما إليها من القاب ومع ذلك فإن الاجماع يكاد يعقد على ان خليل مطران يعتبر رائد للمدرسة الجديدة في الشعر العربي المعاصر.

ان مطران يصوغ احاسيس وأفكار عصره في ديباجة قديمة عرفت بمتانة لغتها وسلامة اسلوبها وروعة صياغتها.

الطبيعة كمرآة للعاطفة.

ان رومانسية مطران تجعله يسمو بالحب من قضية شخصية عاطفية قائمة بين شخصين إلى الكون الشامل إلى عالم من الطبيعة عالم النبات والجماد وإذ بالحب يسمو ويرتفع حتى يشمل الله الذي هو بدوره محبة.

ويرى حبه في الطبيعة يراه في (الحمامتان) [6] حيث يصور حب حمامة لا ليضعها كانت تتوح على فقدها فقدها له إلى ان اعياها التعب وهو كان بدوره يسعى إليها حتى إذا سمعت صوته اسلمت الروح.

وفي (قلعة بعلبك) [7] ذكرى طفولة الشاعر وذكر حبه الأول مع الاعتراف لجمال وصف القلعة ورعتها ويقول مخاطباً القلعة بعد غياب طويل متذكراً طفولته ومرحه وحبه.

---

[1] احسان عباس - شوقي ومرحيه الشعري ، ص36 .
[2] ديوان خليل مطران ، ج ١ ،ص112
[3] كمال ابو اديب ، جدليه الحداثة والتراث ، المؤسسة العربية للدراسات، ص ٨٩.
[4] لويس عوض ، مقدمة في فكر الشعر الحديث الهيئة العامة للكتاب ص 112 .
[5] مندور، محاضرات عن خليل مطران ص11.
[6] الديوان ج: 1 ص73.
[7] الديوان ج1، ص97.

ذكـــــر بين طفولتي واعيـــدي رسم عهد عن اعيني متواري

يـوم امشي على الطلول السواجي لا افتـــــرارُ فيهن الا افترارِي
نزقاً بينهن غراً لعوباً لاهباً عن تبصرُ واعتبار
متنقلاً عظيماً مستحقاً مابها من مهابة ووقار
يوم اخلو (بهند) تلهو وتزهو والهوى بيننا اليف مجاري

كفراش الرياض اذ بنياري مرحاً ماله من استقرار
نلتقي تارة ونشرد أخرى كل ترب في مخباء متداري
فإذا البعد طال طرفه عيني حثنا الشرف مؤذناً بالبرارِ
وعداد اللحاظ تصفو وتشقى بجوار فقرقة فجوار
ليس في الدهر محض سعد ولكن تلد السعد محنة الاكوار

هكذا يبدو خليل مطران شاعراً رومانسياً في معرض وصفه للقلعة وهياكل ذاهبة في الفضاء انما هي مبعث ذكرى حبيبته ذكرى طفولة الشاعر ومرحه وحبه البريء الطاهر وعهد هو احلى مافي العمر.

الحزن والتأمل والفلسفة في الوجود والموت

لم يكن الحزن في شعر مطران حالة عابرة بل جوهر من صميم تجربته يتجلى في رثاء الذات ورثاء الاحبة وفي شعوره بالوحدة والاتزان.

يقول في قصيدة يرثي فيها صديقه

ما مات من كانت له ذكرى تعيش[1]

حيث انه يرى ان الموت لا يمضي تماماً على الانسان ما دام هناك من ذكره فيؤمن بنوع من الخلود المعنوي وفي قلب بهذه التجربة تتجلى ثلاثة موضوعات كبرى في شعره الحزن والتأمل والفلسفة خصوصاً في سؤال الوجود والموت لم يكن للموت عنده مجرد حادث بيولوجي بل قضية وجودية كبرى تتصل بمغزى الحياة وعبث الألم ومصير الانسان كذلك فإن الحزن الذي يملأ ديوانه لم يكن نزفاً شعرياً بل تتجه طبيعية لعزلته الوجدانية وفقده للأحبه وشعوره بالغربة في الوطن والمجتمع والكون.

لقد جسد مطران في شعره روح الرومانسية الفكرية التي تتعلق من الذات إلى العالم ومن الإحساس الى التفلسف متأثراً بالآداب الغربية التي اطلع عليها بعمق ومندمجاً مع موروث عربي كلاسيكي أعاد تشكيلة في قالب عصري منفرد ومن هنا كان لابد من الوقوف عند هذه المحاور لتفهم كيف عبر مطران عن حزنه وكيف تأمل في معنى الحياة والوجود وكيف صاغ فلسفته الشعرية في اطار وجداني وادبي راقٍ.

وفي قصيدة (المساء) يحيد مطران خليل مطران الحزن والتأمل في الموت والوجود وهو من اشهر ما كتب في هذا الباب.

رسم داء الهَّ. فخلت فيه شفائي[2] من حرقة الألم المكبل دائي
وتنفست الصعداء كأني ارقى بها الآهات من احشائي
والشمس في شفق الغروب كأنها وجنات وجد حمرها خجل الرجاءِ
يا للغروب وحابه من عبرة للمستعمام و..... للراني

[1] مطران خليل مطران – ديوان مطران ج1. ص.
[2] مطران خليل مطران – ديوان مطران ج1 ص133 - 135

او كلما طالت خطى العمر انثنت للهم وانقرضت عقود حفائي

في هذه الابيات نرى كيف يوظف الطبيعة (الغروب) كمرآة لمشاعره الحزينة ويتحول المشهد الطبيعي إلى ساحة للتأمل الوجودي حيث يحاكي في ألمه الحرقة المكبوتة ويحس بالوحدة كلما تقدم في العمر وكان الزمن يستنزف نقاءه الداخلي ويذكر فمن يتصفح ديوان الخليل يجد الرثاء يفوز بقسم كبير منه قيل فيه ما يقارب التسعين قصيدة خلا التأبين والذكر والتعازي وبكثرة شعر الرثاء عند الخليل لأنه كانت صلات اجتماعية كثيرة فهو صديق لعدد كبير من الناس وهو وفي ودود يحافظ على صداقاته ويحزن لفقد أصحابه فيلجأ إلى رثائهم وتأبينهم[1]. ورثاء مطران يقسم إلى قسمين.

1- رثاء يقوله في أصحابه له وأصدقاء او حكام او أمراء يلجأ عليه بداعي الالفة والصداقة يتكفله مسايرة ويقوله لأنه يرى في ذلك واجباً اجتماعي فيكون رثائه هذا مثل النادبة المستأجرة بالنسبة على ألم الثاكل لا يبخس ان يعبر عن أية عاطفة او إحساس.
2- ورثاء صادق لا تتكلفه بل يجد نفسه مدفوعاً عليه مسوقاً لقوله هو رثاؤه لأبطال مصر وللخلص من أصدقائه الشعراء الكبار والاصحاب المقربين هو في ذلك يعبر عن إحساس عام وحزن مشرتك ويرى في فقد هؤلاء خسارة للوطن فبان رثاؤه صادقاً نابغاً من قلبه ومن النوع الأول رثاءه (للأميرة كاملة هالم) [2] حيث لا يزيد على ان يكون كلام عادياً.

من الملأ الاسمى على ذلك القبر ملائك حراس الفضيلة والطهر
سجود على باب الضريح الذي ثوت به مصطغاة الله كاملة البر
سلام عليكم فالزموه وانسوا غلالة حسن تتلي بيد الهجر
فقد صورت نفس الاميرة في الضحى واستودعتم صدق الدر
تحملها نور إلى جنة العلى كي تحمل الانداء اجنحة الفجر
فيا سيد الدهر المعزى يفقدها اتخشى عليك اليوم من حولة الدهر؟
ما انت من الرحمن ارأف والدا بمعتاقة الراء من الم العمر؟

وكان مطران يبكي في مرتبة الصفاة الحميدة والصداقة التي ذهبت ويذكر ما كان له عليه من فضل فكأنه برثائه لهم يود بعض الدين ويقم بما يفرضه الواجب وهو يعبر عن حرمه على أصدقائه وحبه لهم.

مطران وشعر المناسبات

ان شعر المناسبات او شعر الطلب اذا شئنا له تسميته أخرى هو ذلك الشعر الذي ينظم في المديح والرثاء ووصف المآدب والحفلات والزواج والتهاني وما إلى ذلك من مواضيع ليس فيها من مادة الشعر ما يهيج الخاطر ويرفع الشاعر إلى الابداع وهو ذلك الشعر الذي يجد الشاعر نفسه موقاً إليه مسايرة لصديق او قريب او صاحب شأن ينظمه بغير دافع لانفصال فإذا هو الوان باهتة ومعان عامة مبتذلة لا حرارة فيها ولا جدة ولا نقاذ وهو الشعر الذي اثاره عليه كثير من الشعراء ومنهم الشاعر مطران.

حيث نرى ان مطران يعترف بأن شعره على نوعين: شعر الطلب الذي لا يكلفه كبير عناء او اجهاد فكر وانما يسوقه كيفما اقتضى الامر والنوع الثاني هو الشعر الفني الخالص الذي يفرض نفسه على الشاعر فيتحضر له ويتهيأ فتخمر الفكرة في ذهنه فيدونها نشراً احياناً ثم يأخذ في نظمها وجمع خيوطها وهذا

[1] ميثال حجا ، خليل مطران الشاعر، ص 165.
[2] الديوان ج1 ص72.

الشعر هو الذي يخلد لأنه يمتاز كما يقول الدكتور طه حسين[1] (قبل كل شيء به بأنه مرآة لما في نفس الشاعر من عاطفة مرآة تميل العاطفة تميلاً بريئاً من التكلف والمحاولة فإذا اخلت نفس الشاعر من عاطفة او عجزت هذه العاطفة عن ان تنطق لسان الشاعر لما يشملها فليس هناك شعر وانما هناك نظم لا غناء فيه).

ويرى الدكتور محمد مندور[2] (اشعار المناسبات في ديوان الخليل إلى اضطراره ان يهجر مسقط رأسه فيسلخ حياته اما بين قوم غرباء كالفرنسيين او بين قوم مهما قيل في اخوتهم له وارتباطه بهم لا بمختلف الروابط فإنه كان بالضرورة غريباً يتهم إلى ان يأخذ نفسه بمجاراتهم في الكثير من ميولهم ونزعاتهم ومجاملة افرادهم حتى يستطيع ان ينعم بالحياة بينهم وربما كان هذا هو السبب في العثور على الكثير من قصائده ومطبوعاته التي قالها في مجالات او مناسبات اجتماعية لا تخلو من نقاهة كحفلات الزواج والولائم والورود وأنواع الحلوى ومداعبات السيدات والأطفال والأصدقاء واني اضيف إلى ذلك ان طبيعة مطران ونفسيته واخلاقه ورقة شمائله واخلاصه الود وكثرة الأصدقاء هذه جمعاً حسمت عليه ان لكثير من شعر المناسبات ولاسيما الرثاء).

والذي ينظر في مناسبات الخليل يجد ان يتناول مواضيع عديدة تناولها شوقي وحافظ وخاصة في الرثاء ومن هنا كان يجد نفسه مجيداً احياناً على النسبة والمسايرة مسايرة زميله شوقي وحافظ.

وما يبقى من شعر المناسبات عند مطران ينقسم بدوره إلى نوعين نوع ركيك هزيل خال من الروح الشعرية لا يرتفع بالمناسبة الحقيرة إلى اعلى بل يشاركها في الانفاق. ونوع آخر وان تناول المناسبات العابرة فقد يوفق الشاعر في صياغته وفي الارتفاع بالمناسبات الحقيرة ويسكيها في شعره لا بأس به فمطران موهبة الشعرية وذوقه الفني يستطيع ان يجيد النظم ويرقي التعازي وحسب هذا التقييم سنتناول شعر مطران في المناسبات.

ففي (زفاف الآنسة نجلا سركيس)[3] يقول في مدح والد العروس سليم سركيس

وما (سليم) الا ابرُّ ابار ... رَبّي بنية بالخطّة الفُضلى
يحيدُ في كلّ ما يجيء به ... اكانَ قولاً ما جاءَ ام فعلاً
(سليمُ سركيس) هل أعرّفُه؟ ... جوابُ هذا سائل: جلاّ
من يتقدى لأن يعرفكم ... "سركيت) مشىّ عليكم الجهلا
لكن هذا يوم أجاز لنا ... إيفاءه المدح شاءه ام لا
(سركيسُ) في حلبة الكتابة إن ... جّلى فلا غرُو أنهُ جَلّى

فهل مثل هذا النظم يليق شاعر كبير كمطران؟ اين المعنى البليغ وأين الفتح المبين؟ وأين النظم الرائع ففي البيت الأخير (فرّ الماء) بعد الجهد بالماء[4].

وتبدو رومانسية مطران في تفاعله مع الطبيعة مع الزهر والسحب والغصن والطير[5]

في علَم الزهر أنَّ يفتر لي كذباً ... وباكي السُحب ان يندى وما صدَقا؟
ونائح الطير ايلامي بمنطقة ... كأنه شارحُ حالي بما نطقا؟
ومائس القصن اغرائي بعطفه ... فإنَّ دنوت تساقى نافراً فرفا؟

---

[1] طه حسين، شوقي وحافظ ص109.
[2] مندور الدكتور محمد محاضرات عن خليل مطران ص(9 – 10).
[3] ديوان خليل مطران ج3 ص21.
[4] د. ميشال حجاه خليل مطران باكورة الجند يوفي الشعر العربي الحديث ص226.
[5] الديوان ج1. ص195.

وما لاشك فيه ان الخليل وجد من طبيعة الشاعرية ومن العوامل التي اكتشفته واهمها حبه ما ازجى به إلى عالم الشعر وان حب الخليل جعل نفسيته تنفح واوتار قلبه تهتز امام مشاهد الحياة ومجاليها والشاعر هو كتلة من إحساس وعاطفة يشارك الناس افراحهم واحزانهم ويزرع الحب والتفائل في حياته.

المبحث الثالث

الخيال والتصوير الفني في شعر خليل مطران

مفهوم الخيال عن مطران وابعاده الفنية

اعتمد مطران في شعره على خيال خصب يتركز على الاتصال الصادق والرؤية الوجدانية وكان الخيال لديه وسيلة لتكيف المعنى وتعميق الشعور ويتميز خياله بأنه مركب يتجاوز الوصف الخارجي إلى الإيحاء والرمزية مما يربطه بالمدرسة الرومانسية الفرنسية التي تأثر بها.

فكانت الطبيعة عند مطران حرارة مشاعره فحين يكون سعيداً يبدو له فرحه وحين يحزن تتلبد بالغيوم الطبيعة ليست عنصراً خارجياً بل تندمج مع الذات الشاعرة.

والنهر كالمرآة يجلى ما بها من لوعه او بسمة كالفجر[1] .

حيث يصور النهر كمرآة يعكس مشاعره وهذا تصوير في مركب يوظف الصيغة لتوصيل التجربة الذاتية.

في كثير من القصائد اتجه مطران إلى الرمزية موظف الصور لتدل على أفكار مجردة كالخوف – الموت – الفقد – الغربة – استخدام الرموز بدلاً من المباشرة مستلهماً من بودلير الفرنسي وغيره من الرمزيين.

وقد اكد مندور (ان الخيال عند مطران لم يكن تقليد للصور التراثية بل تخص ذلك إلى ابداع صور جديدة نابضة بالروح الذاتية) [2] .

يتجاور مطران الخيال الحسي البسيط إلى ما يسميه الخيال المركب أي يركب صوره جديدة من عناصر مقدره ليوصل انفعالاً خاصاً.

ويقول الدكتور محمد مندور ((ان الصورة الشعرية عند مطران تقوم على خيال مركب فيه إحساس وفكر اذ لم يكن الخيال عنده خيالاً زخرفياً بل خيالاً وظيفياً يتولد عن تأمل عميق للواقع ويقومن بإعادة انتاجه بما يتوافق مع المشاعر الداخلية)) [3]

ويؤكد الدكتور احسان عباس ان ((مطران كان يستخدم الخيال بوصفه جهازاً تصورياً يترجم الانفعالات إلى صور ولم يكن هدفه وصف الأشياء بل تصوير الوجدان من خلالها)) [4]

ومن المهم ان نلاحظ ان الخيال عند مطران لم يكن مفرطاً في الهويم والبعد عن الواقع بل هو خيال مرتبط بالوعي الفني أي انه وسيلة جمالية وظيفته تهدف إلى الإيحاء لا إلى التجمل السطحي.

داء الم فخلت فيه شقائي من صوني فتضاعفت برحائي

وتركتني لجراح نفسي واختفى عني الطبيب فطال اغلالي

---

[1] ديوان الخليل، ج2 ، ص131.
[2] محمد مندور – الأدب ومذاهبه في الشعر والنثر، ص171.
[3] محمد مندور، الادب ومذاهبه ، ص171.
[4] احسان عباس، من الشعر العربي الحديث، ص186.

قد عز عزائي واشتد بلائي والخط جسمي وانثنى استعلائي
وأبى فؤادي ان يسلى علني يوماً يسلو فاسترحت بدائي)) [1]

التصوير البياني والاستعارة الفنية

الاستعارة هي نقل العبارة عن موضع استعمالها في اصل اللغة غيره لفرض والاستعارة في الجملة ان يكون لفظ الأصل أي (المشبه به) في الوضع اللغوي معروفاً في معنى يعنيه.

فالاستعارة من الأساليب البيانية المبينة على علاقة المشابهة الا انها تمتاز عن السنية بحذف احد الطرفين لغرض بلاغي يهدف إليه الاديب او الشاعر وعند مطران تشكل الاستعارة التصريحية حيزاً كبيراً في ديوانه ولعل يشوع هذا النوع من الاستعارة في شعره مما يفسر انه شاعراً مصور لما فيه من نوع خفاء يجتاح إلى قوة نفس ويقظه حسب وبراعة تصوير وخير شاهد لذلك ان اول بين شعري في ديوانه استخدم هذه الوسيلة البيانية قال الشاعر [2]

مشت الجبال بهم وسال الوادي ومضوا مهاد سرن فوق مهاد

ففي هذا البيت نجد الشاعر استعار لفظ (الجبال) لجيش نابليون الأول الذي قهر الجيش الألماني استعباداً واستعماراً وحذف المشبه (الجيش) وذكر المشبه به وهو (الجبال) وجعله كجيش المشتبه وذلك لغرض بلاغي وهو المبالغة وتسمية الجبال لدى المتلقي ليشعر بهول القوة الحربية القرنية تجاه الجيش الالماني [3] .

وقال في وصفه إلى اديب ناهز الستين من عمره مستخدماً للاستعارة في بيان مدى الأدبية للشاعر الاديب في الشرق الأوسط

يا بالغ الستين من عمره نود لو بل نمت فيه المئين
دم رافعاً بين منار الهدى منار المشرف في العالمين
من فحمات الليل تجلو الضحى وظلمات الريب تجلو ال...
ومن طوبا الناس تبدي بما خيرت منهم كل كنز دفين [4]

فالشاعر في البيت الثالث شبه الاكمال الأدبية للأديب بالنهار اذ تجلى وازال ظلمة الليل وهذا المشبه حذفه الشاعر واستعار له لفظ المشبه وهو الضحى على سبيل الاستعارة التصريحية للمبالغة في بيان مدى قدرة الاديب في التعبير والبيان لأجل التثقيف والتعليم للمجتمع الشرقي وايضاً الشاعر شبه الشك والجهل بظلمة الليل وهو المبالغة في تعبيره عن الجهل الذي كان يسوده الشرق في ذلك الزمان.

التصوير الحسي والبصري عند مطران

تميز شعر مطران بقوة التصوير الحسي فقد اعتمد في كثير من شعره على وصف مرئي حي يتوجه إلى الحواس فيجعل القارئ يرى ويسمع ويتخيل المشهد وكأنه امه لوحة مثال من قصيدته عن الصيغة.

كأن النهر في جريانه قيثارة تشدو بأغشية رقيقة

---

[1] ديوان مطران ج1، ص97.
[2] ديوان الخليل، ج1، ص15.
[3] محمد مؤمن صادق، الصورة البيانية في شعر خليل مطران، ص88.
[4] ديوان الخيل ج1، ص33.

هنا لا يتخيل النهر فقط بل يحوله إلى قيثارة ..... فيدمج بين الصورة البصرية (جريان النهر) والصوتية (الغناء) هذه صورة فيه ... تخاطب البصر والسمع في آن واحد.

ويعد التصوير الحسي والبصري من ابرز سمات شعر خليل مطران حيث تجلت في قصائده قدرته على تحويل المشاعر والأفكار المجردة متأثراً بالمدرسة الرومانسية الفرنسية التي انفتح عليها شبابه فقد كان يرى ان الشعر لا يجب ان يقتصر على المعاني الذهنية بل يجب ان يلمس ويرى ويشم ويتذوق أي ان يُعاش بالحواس كلها ففي قصيدة المساء يعرض لنا مطران مشهداً بصرياً حزيناً يعكس فيه آلامه النفسية من خلال الطبيعة وتظهر هي الذات الشاعرة مع المشهد الطبيعي.

دقات قلب المرء قائلة له ان الحياة دقائق وثواني[1]

في هذا المقطع تتحيد الصورة البصرية في مشهد الحياة بسرعة عبر دقات القلب وكأن كل دقيقة تنزف من الجسد الداخلي والصورة الخارجية فغي توليفة حسية بصرية عميقة ويظهر التصوير الحسي بشكل خاص في تصويره للمرض والمعاناة الجسدية والنفسية كما في نفس القصيدة.

وجدت في نفسي الضعيفة فتنة تركوا إلى الاسقام والاشجان

اما في قصيدة الغريب.

غريب كأني عن ديياري نازح وكأن بيني ما عهدت به المقاما

وفي هذا البيت يجسد مطران الاغراب بصورة حسية مرئية المنزل لم يعد مألوفاً والمكان اصبح تريباً هذا النوع من التصوير البصري المعنوي من خصائص المدرسة الرومانسية التي تأثر بها مطران من خلال اطلاعه على اعمال فيكتور هوغو وقد أشار محمد مندور إلى ان مطران ((ادخل إلى الشعر العربي تصويراً حياً نابضاً بالحياة يلتقي فيه الإحساس البصري والوجدان بالصورة)) [2].

وقد اكد شوقي على تمرد مطران في التصوير إذ قال ((ادخل إلى الشعر العربي التصوير إلحي والتعبير الذي يخاطب الحواس لا العقل وحده)) [3]

ومن ابرز خصائص مطران كذلك في التصوير الحسي انه لا يصف فقط ما يراه بل ما يشعر به ايضاً فيقول في قصيدة ذكرى مخاطباً محبوبة.

كأنك نور الصبح يرى منعماً فتقع في القلب الغرام المكلما)) [4]

فقد وظف مطران الحواس الخمس ليمنح قصائده طابعاً حباً نابضاً فكأن يصور الحب والاغراب والحزن بأدوات الطبيعة مثل النور والصوت والظلال وقد اكد النقاد مثل محمد مندور وشوقي ضيف على تمرده في ادخال التصوير الحي إلى الشعر العربي مما جعله حلقة وصل بين الشعر الكلاسيكي والشعر العربي الحديث[5].

الخاتمة

بعد دراسة وتحليل شعر خليل مطران يتضح ان تجربة الشعرية تبرز بوضوح الخصائص الرومانسية التي تميزت بها الحركة الأدبية في العصر الحديث فقد تميز شعره بالعاطفة الجياشة والحنين

---

[1] ديوان الخيل، ج1، ص43.
[2] ديوان خليل مطران، ج1، ص88.
[3] محمد مندور ، الادب والمذاهب ، ص210.
[4] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص419.
[5] ديوان الخيل ج2، ص137.

إلى الطبيعة والاهتمام بالذات والمشاعر الداخلية كما تجلى فيه التوقع والشوق إلى الحرية والروحانية والهروب من الواقع المادي إلى عوالم الخيال.

وقد تجلت هذه الخصائص في استخدامه للصور البلاغية والتعبيرات العذبة مما جعل شعره صوتاً صادقاً يحمل هموم الانسان وآماله ومن اهم النتائج التي توصل إليها البحث.

1. التعبير العاطفي العميق: حيث يعبر مطران عن مشاعر الحب، الفقد، الشوق، الألم بأسلوب رومانسي متفرد.
2. الاهتمام بالطبيعة: اذ يستخدم الطبيعة رمزاً للمشاعر الإنسانية وللوحدة مع الكون.
3. الخيال متجاوزاً الواقع المادي إلى ما هو اسمى وارقى.
4. اللغة الموسيقية: تميز ابياته بنغمة موسيقية رقيقة تعزز من تأثير المعاني على القارئ.

وفي النهاية يعد شعر خليل مطران نموذجاً متميزاً للشعر الرومانسي العربي حيث جمع بين الاصالة والتجديد محققاً توازناً بين المشاعر الخاصة والآمال العامة مما جعله من اهم اعلام الشعر العربي الحديث.

المصادر والمراجع

1- احسان عباس، شوقي ومسرحيته الشعرية، دار الثقافة – بيروت سنة 1982م.
2- احسان عباس، من الشعر العربي الحديث، ط1، المؤسسة العربية للدراسات بيروت 1987.
3- احمد الهاشمي، جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب، دار الفكر للطباعة والنشر (2004).
4- انوار المعداوي، قضايا الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1957.
5- د. ميشال جحا، خليل مطران باركوة التجديد في الشعر العربي الحديث، دار المسير بيروت (1981).
6- ديوان الخليل ج1 بيروت 1949.
7- ديوان مطران ج1 دار الكتاب المصري 1949.
8- ديوان مطران ج2 – دار المعارف ط6 1960.
9- شوقي ضيف – تاريخ الادب العربي العصر الحديث – دار المعارف ط4، القاهرة 1982.
10- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف ط7، 1995.
11- طه حسين، حافظ وشوقي ط الثانية مكتبة الخانجي القاهرة (1953).
12- كمال أبو اديب، جدلية الحداثة والتراث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت سنة 1990.
13- لويس شيخو – شعر النصرانية ج4 – بيروت 1908.
14- لويس عوض – مقدمة ديوان مطران – دار المعارف القاهرة.
15- محمد مندور، الادب ومذاهبه في الشعر والنشر، دار تعمق مطر ط4 1973.
16- محمد مندور، محاضرات عن خليل مطران، معهد الدراسات العربية العالمية (1955).
17- محمد مؤمن صادق، الصورة البيانية في شعر خليل مطران، رسالة ماجستير جامعة ام درمان الإسلامية (2008 – 2008).
18- مصطفى السيوفي، تاريخ الادب العربي الحديث، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ط1 (2008م).
19- مطران خليل – ديوان الخليل ج3 – مطبعة دار الهلال، مصر 1949.
20- مطران خليل مطران: ديوان الخليل ج2 مطبعة دار الهلال مصر (1949).